حول مضار التبغ

مشهد - منولوج فى فصل واحد

شخصيات المسرحية

إيفان إيفانوفتش نيوخين[1] زوج
زوجته وهى صاحبة مدرسة موسيقية وبنسيون حريمى

ـ المسرح هو منصة حفلات فى أحد النوادى الريفية

*

نيوخين: (**بسوالف طويلة، بدون شوارب، فى حلة فراك قديمة بالية. يدخل فى عظمة، ينحنى محييًا وهو يسوى صدريته**)، سادتى الكرام، وسيداتى الكريمات.. على نحو ما (**يمشط سوالفه**). لقد عرضت علىَّ زوجتى أن أقرأ محاضرة هنا لغرض خيرى. حسنًا، فلتكن إذًا محاضرة، فالأمر بالنسبة لى سيان تمامًا. أنا بالطبع لست أستاذا، وبعيد عن الألقاب العلمية، إلا أننى، رغم ذلك، وعلى امتداد ثلاثين عاما، دون انقطاع، ويمكن القول، معرضا صحتى للضرر وخلافه، أعمل فى قضايا ذات طابع علمى بحت، أعمل الفكر، بل وحتى أكتب أحيانا، تصورا، مقالات علمية، ولا أعنى علمية تماما، ولكن، وأرجو المعذرة على هذا التعبير، وهكذا، شبيهة بالعلمية، وبالمناسبة كتبت منذ أيام مقالة هائلة

(١) ملاحظة: نيوخين اسم اشتقه الكاتب، من باب الفكاهة، من فعل «نيوخات» ويعنى فى الروسية: شم، ويمكن أن يقابله فى العربية «شمام» ـ **المعرب**.

بعنوان «حول مضار بعض الحشرات». وقد حازت إعجاب بناتى الشديد، وخاصة ما كتبته عن البق. أما أنا فقرأتها ثم مزقتها. فعلى أى حال ومهما كنت، فلا غنى عن المسحوق الفارسى[1].

البق عندنا معشش حتى فى البيانو.. لقد اخترت لمحاضرتى اليوم موضوع، يعنى، الضرر الذى يعود على البشرية من تعاطى التبغ. أنا شخصيا أدخن، ولكن زوجتى أمرتنى أن أقرأ اليوم محاضرة عن مضار التبغ، وعليه، فلا معنى هنا للجدل، ما داموا يريدون عن التبغ، فليكن عن التبغ، الأمر بالنسبة لى سيان تماما، أما أنتم السادة الكرام، فأقترح عليكم أن تنظروا إلى محاضرتى هذه بالجدية اللازمة، وإلا فقد يحدث ما لا تحمد عقباه. ومن يخاف من المحاضرة العلمية الجافة، ومن لا تعجبه، فبإمكانه ألا يستمع إليها وأن يخرج (**يسوى صدريته**). وأرجو اهتماما خاصا من السادة الأطباء الحاضرين هنا، الذين يمكنهم أن يستقوا من محاضرتى الكثير من المعلومات المفيدة، لأن التبغ، إلى جانب مفعوله الضار، يستخدم أيضا فى الطب، فعلى سبيل المثال، لو وضعتم ذبابة فى علبة سعوط؟؟، فسوف تنفق فى الغالب بسبب اضطراب الأعصاب. إن الطباق هو بالدرجة الأساسية نبات.. عندما ألقى محاضرة أغمز عادة بعينى اليمنى، فلا تلقوا بالًا، فهذا بسبب الانفعال. إننى شخص عصبى جدا بصفة عامة، بدأت أغمز بعينى عام ١٨٨٩. فى ١٣ سبتمبر، فى نفس اليوم الذى ولدت فيه لزوجتى، على نحو ما، الابنة الرابعة فرفارا. كل بناتى ولدن بتاريخ ١٣ وعموما (**ينظر إلى ساعته**) ونظرًا لضيق الوقت دعونا لا نبتعد عن موضوع المحاضرة. ينبغى أن أذكر لكم أن زوجتى تملك مدرسة موسيقية وبنسيونا خاصًا، ولا أقصد أنه بنسيون يعنى، بل

(١) مسحوق. كان يستخدم لمكافحة الحشرات المنزلية مثل البق وغيره. (**المعرب**).

هكذا، شيء من هذا القبيل. وبيني وبينكم زوجتي تهوى التشكي؟؟ من ضيق الحال، ولكنها تخفي بعض المال، حوالي أربعين أو خمسين ألفا، أما أنا فلا أملك كوبيكا واحدا. ليس عندي قرش، ولكن ما جدوى الكلام! أنا أعمل في ذلك البنسيون مشرفا على الشئون المعيشية، أشتري التموين، وأفتش على الخدم، وأسجل المصروفات، وأصنع من الأوراق دفاتر، وأكافح البق، وأفسح كلبة زوجتي، وأصطاد الفئران..ومساء الأمس كان من واجباتي أن أصرف للطاهية الدقيق والزيت، إذ كان من المقرر إعداد شطائر. حسنًا، وباختصار، جاءت زوجتي اليوم إلى المطبخ بعد أن أعدت الشطائر، لتقول لي إن ثلاثا من المربيات لن يأكلن شطائر، لأن اللوز عندهن محتقنة. وهكذا اتضح أننا أعددنا عدة شطائر زيادة، فهلا أخبرتموني ماذا نفعل بها؟ في البداية زوجتي أمرت بحملها إلى القبو. وبعد أن فكرت قالت «كل أنت هذه الشطائر، أيها الفزاعة»، وهي تسميني «الفزاعة» أو «إبليس» أو «الشيطان» عندما تكون معتلة المزاج. فأي شيطان أنا؟ وهي دائما معتلة المزاج. لم آكلها بل ازدردتها دون مضغ، لأنني دائما جائع. بالأمس، مثلا، لم تقدم لي الغداء وقالت «لا داعي لإطعامك أيها «الفزاعة..»»، ولكن مهلًا. **(ينظر إلى ساعته)** لقد أخذتنا الثرثرة وابتعدنا قليلا عن الموضوع. دعونا نواصل، رغم أنكم تفضلون بالطبع لو استمعتم إلى أغنية عاطفية أو إلى سيمفونية يعني هكذا، أو دور في أوبرا **(يغني)**: «في غمار الحرب لم يطرف لنا جفن..» لم أعد أذكر من أين هذا المقطع.. على فكرة، لقد نسيت أن أقول لكم إنني في المدرسة الموسيقية التابعة لزوجتي، بالإضافة إلى الإشراف على الشئون المعيشية، مكلف أيضا بتدريس الرياضيات، والفيزياء، والكيمياء، والتاريخ، والسولفيج، والأدب وخلافه. وزوجتي تتقاضى أجرًا خاصًا مقابل

دروس الرقص والغناء والرسم، رغم أننى أنا الذى أدرس الرقص والغناء أيضا. ومدرستنا الموسيقية تقع فى حارة بيتى سوباتشى[1]، فى *المنزل رقم ١٣، ويبدو أن السبب فى فشل حياتى يعود إلى أننا نعيش فى* المنزل رقم ١٣، وبناتى ولدن فى تاريخ ١٣، ولدينا فى منزلنا ١٣ قطة.. وما جدوى الكلام! يمكنكم أن تجدو زوجتى فى البيت فى أى وقت للاتفاق معها، أما برنامج المدرسة، إذا رغبتم فى الحصول عليه، فيباع لدى البواب بـ ٣٠ كوبيكا للنسخة (**يخرج من جيبه عدة نشرات**) وإذا رغبتم فبوسعى أن أتقاسمها معكم النسخة بـ ٣٠ كوبيكا، من يرغب؟ (**فترة صمت**) لا أحد يرغب؟ حسنا، بـ ٢٠ كوبيكا! (**فترة صمت**) شىء، محزن. نعم إنه المنزل رقم ١٣! لا أوفق فى عمل شىء، كبرت وتبلدت. ها أنذا ألقى محاضرة، وأبدو مرحًا، بينما أود لو أصرخ بملء الصوت، أو.. أطير إلى مكان ما فى آخر الدنيا..وليس هناك من أشكو إليه، أود حتى أن أبكى وربما قلتم: والبنات.. ما لهن البنات؟ أنا أخاطبهن، أما هن فيضحكن.. لدى زوجتى سبع بنات.. كلا، عفوا، أظن ست بنات.. (**بحيوية**) سبع! كبراهن، آنا، فى السابعة والعشرين، والصغرى فى السابعة عشر.. سادتى الكرام (**يتلفت**) إننى إنسان تعيس، تحولت إلى أحمق، إلى شخص حقير، أما فى الواقع فترون أمامكم أسعد أب فى الدنيا. وهذا فى الواقع ما ينبغى أن يكون، وأنا لا أجرؤ أن أقول شيئا مخالفا. أه لو كنتم تعلمون! لقد عشت مع زوجتى ثلاثا وثلاثين سنة، وبوسعى أن أقول إنها كانت أسعد سنوات حياتى، ليس أسعدها بالضبط، ولكن بشكل عام. مرت يعنى باختصار وكأنها لحظة سعيدة، عليها اللعنة فى واقع الأمر! (**يتلفت**) ولكنها، كما أظن، لم تأت بعد. إنها ليست هنا، ويمكننى أن أقول

(١) تعنى الكلاب الخمسة ـ (المعرب).

ما أشاء.. إننى خائف جدا.. أخاف عندما تنظر إلىَّ. نعم إذن، أقول، إن بناتى بقين طويلا بلا زواج ربما لأنهن خجولات، ولأن الرجال لا يرونهن أبدًا. زوجتى لا تريد إقامة سهرات، ولا تدعو أحدًا لتناول الغداء.. إنها سيدة بخيلة للغاية وعبوس، ومتذمرة، ولذلك لا يزورنا أحد.. ولكن، يمكننى أن أبوح لكم بسر.. **(يقترب من مقدمة الخشبة)** يمكن رؤية بنات زوجتى فى الأعياد الكبيرة لدى خالتهن نتاليا سيمونوننا، تلك التى تعانى من الروماتيزم، وتسير مرتدية ثوبا أصفر، ببقع سوداء، وكأنما نثرت عليها صراصير. هناك يقدمون المقبلات. وعندما لا تكون زوجتى هناك يمكن تناول الـ.. **(ينقر بإصبعه على عنقه)**[1].. ينبغى أن أشير إلى أننى أثمل من أول كأس، وعندها أحس براحة نفسية، وفى الوقت نفسه أشعر بالحزن لدرجة يصعب وصفها. لسبب ما أتذكر سنوات الصبا، وأرغب لسبب ما فى الفرار.. آه لو تعلمون كم أرغب! **(باندفاع)** الفرار.. ترك كل شىء والفرار، بلا رجعة.. إلى أين؟ لا يهم إلى أين.. المهم الفرار من هذه الحياة الحقيرة، الوضيعة التافهة، التى جعلت منى عجوزًا بائسا أحمق، عجوزًا بائسًا أبله.. الفرار من هذه المقترة الحمقاء التافهة الشريرة، الشريرة، الشريرة، من زوجتى التى عذبتنى ثلاثة وثلاثين عاما.. الفرار من الموسيقى، من المطبخ، من نقود زوجتى، من كل هذه التوافه والوضاعات.. ثم التوقف فى مكان بعيد، بعيد، فى حقل مكشوف.. الوقوف هناك كشجرة، كعمود، كفزاعة طيور، تحت السماء العريضة والتطلع طوال الليل إلى القمر الساكن المنير فى الأعلى.. والنسيان.. النسيان..آه كم أود ألا أذكر شيئا.. كم أود أن أنزع عنى هذا الفراك الحقير الرث، الذى لبسته فى زفافى منذ ثلاثة وثلاثين عاما **(ينزع**

(١) إشارة شائعة تعنى تناول المشروبات الروحية ـ (المعرب).

عنه الفراك).. الذى ألقى فيه المحاضرات دائما لأغراض خيرية.. هاك ما تستحق! **(يدوس الفراك بحذائه)**.. هاك ما تستحق! أنا عجوز، فقير، بائس، مثل هذه الصدرية، بظهرها المستهلك المهترئ.. **(يكشف ظهره)** لست بحاجة إلى شيء! أنا أسمى وأطهر من ذلك، وكنت فى زمن ما شابا، ذكيا، درست فى الجامعة، وكنت أعد نفسى إنسانا..الآن لم أعد بحاجة إلى شيء! لا شيء سوى الراحة.. سوى الراحة! **(ينظر جانبا ويرتدى الفراك بسرعة)**.. وها هى زوجتى تقف خلف الكواليس.. وصلت ووقفت تنتظرنى هناك.. **(يتطلع إلى الساعة)**.. لقد مر الوقت.. إذا سألتكم فأرجوكم، من فضلكم، أخبروها أن المحاضرة كانت..وأن **الفزاعة**، أى أنا، كان سلوكى لائقا **(ينظر جانبا ويسعل)** إنها تتطلع نحوى.. **(يرفع صوته)**.. وانطلاقا من أن التبغ يحتوى على سم زعاف، وهو ما ذكرته لتوى، فلا يجوز التدخين بأى حال من الأحوال، وأسمح لنفسى، بصورة ما، أن آمل بأن تعود محاضرتى هذه «عن مضار التبغ» بالنفع. لقد قلت ما عندى.

Dixi et animam levavi[1]

ينحنى ويخرجة بعظمة.

(١) قلتُ فسريت عن نفسى ـ باللاتينية فى الأصل.